

الشعر الحر في السعودية

د. عبد الوحيد شيخ*

الشعر الحر أو الشعر التفعيلي من الفنون الحديثة التي عرفها الأدب العربي الحديث متأثراً بالروافد الحديثة التي تدعو إلى التخلص من الوزن والقافية في الشعر. وقد واجه هذا التيار معارضة شديدة من المتحمسين للغة الضاد وعدّوه طعناً في الفصاحة ومحاولة بغيضة من الأعداء للنيل من لسان القرآن ورأوا أن التمسك بالوزن والقافية فيه صون للغة وعلوّ لشأنها ردّ على الأعداء وتثبيط لكيدهم. لذلك نرى الأديب المصري الكبير شوقي ضيف هو لا يرضى بصورة الشعر الحر؛ لأنها: لا تتخفف فقط في القافية بل تتخفف أيضاً من أنقال العروض بحيث يمكن أن يتألف بيت من تفعيلة أو تفعيلتين، وبيت ثان يليه من ثلاث تفعيلات أو أكثر، وقد تحتوي المنظومة منه على تفاعيل من أوزان مختلفة"^(١).

وقد كانت الأديبة العراقية نازك الملائكة أول من أشادت هذا اللون من الشعر وأيدته بقوة ودعت إليه بحماس، وقد ألّفت فيه كتاباً باسم "قضايا الشعر المعاصر" بيّنت فيه أصول الشعر الحر وبحوره، وادّعت في أول الأمر أن الشعر الحر بدأ من العراق سنة ١٩٤٧م، ومنها انتشر في بقية العالم العربي ولكنّها فوجئت لما وقفت على قصائد حرة نشرت في المجلات منذ ١٩٣٢م^(٢)، وممن كتب فيه في ذلك الزمن علي أحمد با كثير ومحمد فريد أبو حديد

* الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا،
أونتي بورة كشمير

وغيرهما. ولكن الجمهور لم يرضوا بدعوة نازك الملائكة بل قابلوها بالرفض والإنكار وعدّوه بدعة وسيئة النية يهدف إلى هدم الشعر القديم ولكن الشعر الحر قوي مع مرور الزمن حتى اضطر أدباء العرب الثالث في القاهرة إلى الاعتراف به رسمياً^(٣).

والشعر الحر تعرفه نازك الملائكة بقولها: " هو شعر ذو شطر واحد ليس له طول ثابت وإنما يصح أن يتغير عدد التفعيلات من شطر إلى شطر ويكون هذا التغيير وفق قانون عروضي يتحكم فيه"^(٤).

وقد حاولت المؤلفة إيجاد العلاقة المتينة بين بحور الشعر العربي القديم والشعر الحديث وإن كل إمكانيات بحور الشعر العربي الستة عشر ينبغي أن تتوافر في الشعر المعاصر وإلا فإن حركة الشعر الحر تسقط يوماً بعد يوم في هاوية مبتذلة.

وعلق عليه الدكتور إبراهيم الجاوي^(٥) بقوله: " ونحن نحمد للمؤلفة هذه الرؤية السليمة التي تجعل حاضر الشعر مرتبطاً بأشد الارتباط بماضيه وأهميته هذه الرؤية تأتي من ناحيتين: الأولى ألا ينخدع الشعراء بالحرية الممنوحة لهم في قضية الوزن والموسيقى فيظنوا أنها حرية مطلقة لا ضابط لها وأنها تبيح حتى الخروج على ما تقبله الأذن العربية والعروض الدارج كما أشارت المؤلفة في معظم صفحات كتابها.

أما الثانية – وهي الأهم في تقديرنا- أن يدرك الجامدون أمام حركات التجديد أن الشعر الحديث بأوزانه امتداد متطور للشعر القديم فتكف حملات هدم الأدب التي ما فتئوا يذكون أوارها ضد هذا الشعر والقيم الإيجابية فيه.

وقد ذاع الشعر الحر وانتشر في البلاد العربية وتأثر به الشعراء السعوديون وصارت الكتابة فيه من المظاهر الشكلية الجديدة عندهم يقول الدكتور الهويميل^(٦): " لقد دخل الشعر الحر على نجد من كل باب ورحب له كل صدر

من الشباب وركبه المترفون الذين أعياهم الحديث السوقي فبذلوا على صهوته سحبان وائل وملئوا المكتبات بالدواوين التي لا تحرك العاطفة ولا تطرد السأم ولا تثير الانفعال". وهذا يدل أن هناك فئة من الناس في السعودية يرون أن الشعر الحر مرض وضعف في الأدب ولا يعدونه شعرا ولكن الواقع يرفض هذا الموقف فقد غاص في الشعر الحركبار من الشعراء السعوديين الذين لهم مكانة بارزة في الشعر لا في المملكة وحدها بل في البلاد العربية الأخرى أيضا فلا يبقى لهذا الرأي وزن ولا قيمة.

وكثير من الشعراء وخاصة الشباب منهم قد تقلد الشعر الحر وكان العواد أول من شهره في البلاد ففي دواوينه " الآماس " و"البراعم" و"نحو كيان جديد" شعر كثير من هذا اللون . " والملاحظ أن الشاعر السعودي دخل إلى ميدان الشعر الحر بيقين لكنه يقين حذر" ^(٧)، فلم يتحوّل الأمر إلى ثورة كما حصل في الصراع بين الاتجاهين الكلاسيكي والرومانسي". وقد شهد عند الخمسينات اعترافا حقيقيا بشعر التفعيلة في الشعر السعودي، وهذا يدل على أن الشعراء السعوديين قد تزامنوا حركة شعر التفعيلة في الوطن العربي ^(٨).

ونقف مع أكبر شعراء السعودية تجديدا وهو حسن عبد الله القرشي فإنه يرى أن الشعر الحر سيقدر له البقاء لأنه أقدر في أغلب الأحيان على الرمز من بعض الشعر العمودي" ^(٩). مع أن أكثر شعره عمودي إلا أنه ينظم الشعر الحر لاهتمامه الكبير بموسيقى الشعر.

ومما قاله في الشعر الحر قصيدته " بعد الفراق" يقول فيها:

قبل الفراق

ماذا يزودني هواك

حتى أراك

وضحكت في عمق: أتأمل في وداع

من قبل ينطلق الشراع

لا لست أطرب للوداع

إني لأبسم للقاء^(١٠)

وقد بلغ الشعر الحر منزلة عالية عند القرشي لذلك فقد ظهرت سمة التكرار في شعره ؛ لأن له صلة بموسيقى الشعر يقول في قصيدته "أنشودة لنار حزيان":

حزيان عاد

حزيان عاد

حزيان قد عاد عبر انسحاق المني

في دروب التفاهات

عبر الهزائم والثرثرات

وشمس العروبة لما تزل تحضن الغيب

تشرق بالعار متخمة بالشعارات

حزيان لم عدت يا جبل النذل والقهر^(١١)

والشاعر غازي عبد الرحمن القصيبي المولود في الأحساء عام ١٣٥٩هـ (١٩٢٩م) فإنه شاعر ذو نفس طويل ومعان جيدة ، ينظم القصيدة التقليدية والتفصيلية، وقد نشر له ما يزيد على عشرة دواوين شعرية ويتجاوز عدد مؤلفاته فوق عشرين^(١٢). يقول محمد صالح الشنطي: "وليس ثمة شك في أن الدكتور غازي القصيبي يمثل اتجاها فنيا له أثره في حركة الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية، أي دارس لهذه الحركة لا يمكن أن يغفل بحال تراثه الشعري"^(١٣).

والشاعر القصيبي يتفنن في الشعر فيزواج بين الشكلين العمودي والتفصيلي في قصيدة واحدة وهي ظاهرة جديدة في الشعر السعودي كما صنع في قصيدة "

الفرسان" (١٤) وهي عبارة عن مسرحية شعرية تتكوّن من ستة مشاهد بيّن في آخر كل مشهد نهاية الفارس يقول في المشهد الأول:

وهناك عنتر وهو في السبعين

أعشى راح يطلب ناقة

حول الديار

ويئز سهم وهو لا يدري

فيسقط كالبعير على الغبار

ويخور لو أجدى الخوار

وفي المشهد الثاني: مصعب بن الزبير وهو الفارس المسلم الجريء الذي لم

يقبل التراجع أمام المغريات ولقي حتفه في إحدى المعارك.

وهناك مصعب ينجلي

عن وجهه الوضاء صبح

وعروسه الحسناء تهمس

"لا تفارقني"

تلح

والفتح يدعو

كيف يمكث مصعب

وهناك فتح؟

وفي المشهد الثالث: طارق بن زياد ويصور الشاعر نهايته في السجن

يقول:

وهناك طارق فاتح الآفاق

في القيد المهين

قذفت به الريح الخؤون

من الحصون إلى السجون
بحر من الظلمات أودى
بالمحارب والسفين

وفي المشهد الرابع: يصور الشاعر نهاية يوليوس قيصر القائد الروماني الذي انتهى أمره بالاغتيال فيقول بشعر تفعيلي:

وهناك قيصر وهو يبكي
والخيانة كالغمامة في دموعه
وخناجر الأصدقاء والأعداء ترفعه
وتعبث في ضلوعه
تسقى ثرى روما الذي
قد كان يعشقه ويعشقها
الثمالة من يخبعه

وفي المشهد الخامس : تأتي صورة بونابرت الذي ينكسر ويذحف نابليون كالسلاحف

في صحارى من ثلوج
راياته مزق وأشلاء الأثاوس
حوله بحر يموج
ووراءه وأمامه
جيش العلوج

وفي المشهد السادس تأتي صورة دون كيشوت بطل الرواية التي كتبها سرفانتس الباحث عن أعمال البطولة والفروسية:

وهناك دون كيشوت
فوق حماره المهزول

يكتسح الطواحين الغيبه

ويشد شدته ويصرخ

لا يبالي بالمنية

وقد ارتكز النص على الشعر العمودي والشعر التفعيلي ، وقد أتى الشاعر
بالشعر التفعيلي في نهاية الفرسان وعند ما يكون الحديث عن شخصية تاريخية
فإنه يكون بشعر عمودي موحد الوزن والقافية.

والشاعر عثمان بن سيار المحارب المولود عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٨ م) قد نظم
الشعر الحر فقال في قصيدته " خذني إليك" ^(١٥) :

وطن الربيع

وطن الأماسي الضاحكات

وطن الهوى والذكريات

والحب أزهى من أزاهير الربيع

وطن الربيع

خذني إليك فإني السمح المطيع

خذني لأرضك بلبلا

يشدو على رغم العواصف والصقيع

وقصيدة أخرى لشاعر آخر هو سعد سعيد الرفاعي بعنوان

" خيار" ^(١٦) يقول:

خيار... خيار

وأي خيار؟

ويطفو على شفتي السؤال

علام أحرار؟

ويصخب فكري بألف خيار

علام أعاني

لظى الاختيار؟

لم يكن شعراء المملكة بمعزل عما يجري من الأحداث في الخليج العربي بل كانوا ينظمون في أهم الوقائع فمن ذلك احتلال العراق على الكويت فإنها كانت واقعة مرة في تاريخ الخليج ؛ البلد المسلم أهله اعتدى على بلد مسلم آخر ولم يكن العدو من جنس أو مذهب آخر بل هو عربي مسلم يعتز بإسلامه .

فهذا الشاعر عبد الرحمن صالح العثماوي ^(١٧) نظم قصيدته " تساؤلات

طفل كويتي" وهذه أبياتها : يتساءل الطفل إياه:

ما جرى يا أبتاه؟

ولماذا امتشق الليل حسام الرعب

وارتجت على الباب خطاه

ولماذا جاءنا الفجر كئيبا

ينقش المأساة في كل الجبابة

ولماذا أخرج الرشاش والمدفع أصوات الشدأة

ولماذا احتبس الدمع

ولم تحتل النطق الشفافة

ما جرى يا أبتاه؟

وهذا حسن مصطفى صيرفي شاعر أصيل يقول في قصيدة بعنوان

"أفكار" ^(١٨):

أفكار..أفكار..أفكار

تتداخل في دوار

تبجري في أعنف إعصار

تسالني عن كنه الأسرار

يا ستار..ياستار..ياستار
يا ربي ..سامحي يا ربي..
يا ربي...أنا من يا ربي..
إني أبحر في موج الذنب..
إني أجري.. أجري ألهث في الدرب..
أتعبي قلبي .. ساعدني يا ربي..

ونلتقي بشاعر شاب متفنن في صنعه وهو إبراهيم الوافي من مواليد عام
١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) له ديوان بعنوان "رائحة الزمن الآتي" ، أختار منه قصيدته
"عجزت..فأتيني!" يقول الشاعر:

نسيم منك يأتيني
من القبر الذي يحويك يأتيني
يزيح حجاب نافذتي
يعرّب في ستائرها
ويشربني ليسقيني
يفض بكاراة الذكرى
ويسرى في شرايبي
نسيم منك يأتيني
ينادي بي

يحاول أن يعيد إلي بعضا من عناويتي^(١٩)

الحواشي:

(١) ضيف، الدكتور شوقي: الأدب العربي المعاصر في مصر ص٧٨،

ط١٩٦١/٢م.

(٢) قضايا الشعر المعاصر ص١٤، ط١١/١١ أكتوبر ٢٠٠٠م، دار العلم للملايين،

بيروت لبنان.

(٣) المصدر السابق ص ٥٥

(٤) المصدر السابق ص ٧٩-٨٠

(٥) الحاوي، الدكتور إبراهيم: حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي ص ١٣١. مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط ١/٤٠٤هـ/١٩٨٩م.

(٦) حسن بن فهد: اتجاهات الشعر المعاصر في نجد ص ١١٦

(٧) السبيل، عبد العزيز: مقال بعنوان شعر التفعيلة، سؤال الريادة، منشور في مجلة علامات في النقد ص ٨٦٢، الجزء ٥٢، المجلد ١٣، ربيع الآخر ١٤٢٥هـ- يونيو ٢٠٠٤م، النادي الأدبي الثقافي بجدة.

(٨) المصدر السابق ص ٨٦٥

(٩) حسن عبد الله القرشي شاعر من أبو اللو ص ١١٦ ط ١/١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(١٠) المصدر السابق ص ١١٥-١١٦

(١١) المصدر السابق ص ١٢٠-١٢١

(١٢) سلم، أحمد سعيد: موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ٣/٣٣٣

(١٣) التجربة الشعرية الحديثة في المملكة العربية السعودية ص ١/١٨٦

(١٤) بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين ٤/١٤٢، مقال الدكتورة لطيفة بنت عبد العزيز المخضوب بعنوان " المزاوجة بين الشعر العمودي والتفعيلي في القصيدة السعودية.

(١٥) المحارب: بين فجر وغسق، ص ٧٢، ط ١/١٤١٠هـ-١٩٨٩م، دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض.

(١٦) الرفاعي، سعد سعيد جابر، نزيف الجرح، ص ٣١،

ط ١/١٤١٨هـ/١٩٩٧م. نادي المدينة المنورة الأدبي.

(١٧) العشماوي، عبد الرحمن صالح: يا أمة الإسلام ص ٢٠، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

(١٨) صيرفي، حسن مصطفى: شبابي ص ٧٨

(١٩) الوافي، إبراهيم أحمد سالم: رائحة الزمن الآتي، ص ٩٠-٩١

ط ١/١٤١٧هـ-١٩٩٦م، نادي المدينة المنورة الأدبي.
